

الباب الرابع

عمل المرأة
وتأثيره على الأبناء

الباب الرابع عمل المرأة وتأثيره على الأبناء

الرضاعة الطبيعية :

لعلك سيدتى قد اطلعت على بعض الأبحاث التى تؤكد أن الرضاعة الطبيعية خير وأصلح ألف مرة من الرضاعة الصناعية ، أى رجع العلماء إلى ما أوصى به الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ . وهذه الرضاعة الطبيعية من تقاليدنا الحسنة المتوارثة ، التى بين العلم الحديث فوائدھا الغذائية والنفسية ، ولتك سيدتى اخترت طريق الكبرياء والكرامة والمادة وغيرها ، وأعطيت لطفلك قنينة بها سائل مصنع يحتوى على كثير من المواد الكيميائية ، قد تكلفين إحدى الشغالات أو الجارات بإعطائها له لحين عودتك من العمل . أنت بهذا سيدتى تفقدين طفلك آدميته ، وروح الحب والحنان التى تعدى روحه ، وتسعره بالطمأنينة والانتماء ، فتحد أن كثيرا من الأمهات غير القادرات على الإرضاع فى الماضى لأسباب صحية ، وليست اجتماعية يعهدن إلى إحدى المرضعات بإرضاع الطفل حتى ينسب قوى الحسم شديد البنیان ، مما أوثق الصلات الاجتماعية بين

الأفراد ، حتى ليقال « هذه أم فلان » أى التى ولدته.، وهذه « أمه فى الرضاعة » أى التى أرضعته ، وكان الأبناء يشبون على حب كل منهما ، لذلك كانت الصلات الاجتماعية الوثيقة .

أما هذه الأيام حيث المرأة غير متفرغة لرعاية الأبناء ، فما كان منها إلا استعمال الألبان الصناعية ، فعلاوة على تكلفتها وزيادة نسبة التلوث فى طرق إعدادها ، مما يسبب الأمراض والخسارة المادية ، إلا أنها تعتبر من الأسباب غير المباشرة لفقدان الثقة بين هذا الجيل وما قبله ، لشعور الأبناء بتقصير أمهاتهم ، وشعور الأمهات بتفضيل العمل الخارجى لتحقيق الكرامة ، فأخذت الهوة فى الاتساع ، حتى لنسمع عن بعض الحوادث التى يتناول فيها الابن على أمه أو أبيه ، وهذا ما لم نكن نسمع به من قبل .

تم نترك الرضيع والرضاعة ونتجه إلى طفل الحضانة أو المدرسة ، كم من المرات يخرج طفلك دون أن يتناول وجبة الإفطار ؟ فهل تظنين من العربة أن يتحرك دور الوقود المولد للطاقة ؟ فما بالك بما تطلبينه من طفلك ، حتى تصير عادة لديه ! هذا ما يسبب له التأخر الدراسى ، فقد أكدت الأبحاث أن تناول الطفل وجبة الإفطار قبل الذهاب إلى المدرسة ، يؤدى إلى زيادة التحصيل واستيعاب الدروس ، كما يسبب النشاط الحدى والعقلى ، وأنت حيما لا تحدين الوقت الكافى لإعداد وجبة الإفطار . فإنك قد ترسلين معه بعض

الحلوى التى غالبًا ما يعرض الطفل عن تناولها ، أو تزيدين له فى النقود حتى يتمكن من شراء بعض المأكولات المشكوك فى نظافتها ، علاوة على تناولها فى منتصف اليوم الدراسى ، وهو موعد غير ملائم لإمداده بالنشاط والحيوية ، كما أنه قد يتعود إساءة استعمال هذه النقود ، وهذا ما سيأتى الحديث عنه فى فصل قائم بإذن الله .

الحضانة :

يمكن أن يقال إن دور الحضانة تستطيع أن تحل لك مشكلة الأبناء ، وأنتك يمكن أن تلحقهم بدور الحضانة ليكونوا فى مأمن لحين عودتك من العمل ، فبإذن الله عليك سيدتى كم يكلفك هذا من مجهود ؟ وكم يكلفك طفلك من ألم نفسى ؟ فهو ما زال بحاجة إليك ولحنانك وصدرك الدافئ ، أيزهد طفلك إلى الحضانة عن طريق عربة المدرسة ؟ لا شك أنها مكلفة ، أتذهبين بالطفل أنت إلى الحضانة ؟ إنها معاناة . كيف يكون إحساس الصغير وأنت تتركينه فى عجلة من أمرك مفضلة عليه الذهاب إلى العمل ؟ سينتقل إليه الإحساس بقسوة القلب وتفكك المشاعر والشعور بعدم الانتماء ، ثم تعالى نبحث فى دور الحضانة نفسها ، ما الحال الذى توجد عليه ؟ ما مدى التجهيز فيها ؟ سأترك لك طبعًا الإجابة على هذه الأسئلة ، لأنك أنت وحدك تلمسين الظروف التى تتعاملين معها .

ماذا عن مشرفة الحضانة ؟ إنها مهما أوتيت مبلغًا من العلم

وارتقاء فى التعامل ، ومهما أوتيت من قلب حنون إلا أنها لا تستطيع أن توزع هذا الحب والاهتمام والرعاية لأكثر من حوالى ٢٠ طفلاً فى معظم الأحيان إن لم يكن أكثر ، فأنت سيدنى تطلبين المستحيل ، فأنت قد تعاتبينها إذا أهملت يوماً واحداً فى معاملة طفلك ، إنك فى هذه الحالة تسخرين من نفسك ، فقد حباك الله قدرة طبيعية على العطاء ، فتبخلين بها متعلقة بمقولة العمل والكبرياء والكرامة ، وتتركين لغيرك مهمة هذا العطاء لأطفالك ، كيف يكون ذلك عزيزتى الأم ؟ كيف تتركين طفلك فى دور للحضانة هى أقرب إلى غرف للإيواء أكثر منها دور للحضانة أو التربية أو الاستضافة ، مهما كانت أهمية عملك فإنك لن تصنعى المعجزات كى تتخلى عن الصغير بهذه القسوة وهذا التحدى المقيت . ماذا ستجنين من الحياة ؟ وماذا ستحضرين له عوضاً عن أحضانك ودفع مشاعرك حين يحتاج إلى وجودك بجانبه ؟

مشكلة الخدم :

تعالى نستعرض معاً مشكلة الخدم من جميع الزوايا المتعلقة بالمادة والظروف الصحية والتربوية ، من أين نحلب الخدم ؟ وما هى طبائعهم ؟ وما هى عاداتهم التى يسبغونها على أطفالنا ؟ وما هى المراحل السنوية التى يمكن الموافقة على مصاحبتهم فيها ؟

لقد انتشرت لدينا عادة استجلاب الخدم من الخارج ، فهل يوقع الكشف الطبى عليهم ؟ حتى ولو كانت من داخل البلاد . من أين لك أن تتعرفى إن كانت بها بعض الأمراض ؟ أو ناقله لعدوى مرض ما ؟ أقادرة هى على تنظيف أنثك أكثر منك ؟ أنقدر هى على المحافظة على منقولائك أكثر منك ؟ أديها خبرة العناية بما تملكين ؟ أحنو هى على طفلك فى أثناء ممارسة جميع أنشطة الحياة ، فى أثناء استحمامه وتبديل ملابسه ، أو فى أثناء لعبه ، أو حتى حين عودته من المدرسة ؟ لا ، إنها تتعامل معه وتلبى له جميع متطلباته بشكل آلى دون لهفة وحنان طبيعى . أنتقابل هى بنفس بشاشتك ؟ أكون لها دفء أحضانك ؟ هل تتحكمين فى اختيارك لها ؟ أكون عبوس الوجه لا تستطيع العناية الجادة إلا فى الظاهر ؟ أم تكون طفلة لا خبرة لها بالحياة ، ولا برعاية الأطفال ، ولا برعاية نفسها على الأقل ؟

نعم هناك من المربيات من يستطعن تنقيف الطفل ولكن مع انتقاص العطف والحنان الغريزى الذى وضعه الله فى كل أم . فولى لى ، كم تدفعين فى سبيل استفدام هذه المربية ؟ ألا تأخذ نصف راتبك أو قد يزيد ؟ أنتقبلين خدمة الغير ، وتطلبين الغير لرعاية زوذك وأطفالك ؟ فالى الحميم تذهب كل منفعة خاصة ، وإلى الحميم تذهب إنجازاتك ، ما لم يكن

المستفيد الأول منها زوجك وأطفالك . ولتقرئ آيات الأستاذ
« أحمد شوقي » ففيها تجديد العبرة والموعظة :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم من الذى تلقى له
أماً تخلت أو أباً مشغولاً

رحم الله فلذات أكبادنا ، رحم الله شباب الغد ، رجال
المستقبل ، أعاننا الله على ما نراه من عقوق الأبناء هذه الأيام ،
ما هذه الفوضى التى تجتاح إحساس وتصرفات أطفالنا وشبابنا ؟
ماذا يقول الطفل عند عودته للمنزل ولا يجد سوى أحضان
الحوائط ؟ ماذا لو كان جائعاً ؟ ماذا لو كان غاضباً ؟ ماذا لو
كان متعباً ؟ لقد شاهدت برنامجاً تليفزيونياً كان يستطلع آراء
الأطفال حول عودتهم من المدرسة قبل قدوم والدتهم من
عملها ، وما هو شعورهم ؟ وكانت الآراء كلها مدعاة للأسى
والحزن والأسف لما يحدث لهم .

فيا سيدتى ، ليكن قلبك نبغاً للحنان وإنكاراً للذات ، أفيضى
بحنانك على أولادك ، فزهرك تزدهر بحنانك ، وتترعرع
بين أحضانك ، فأنت لها المنبت الخصب .

ما الذى يمكن أن تفعله المرأة إزاء المذاكرة لأطفالها ؟ طبعاً
تترك هذه المهمة للمدرسة أو للمدرس الخاص الذى يستنفذ
الكثير من المادة ومضيعة للوقت ، عزيزتى ، ماذا لو ذاكرت

لطفك أنت؟ ماذا لو تفرغت للمطالعة ومتابعة وسائل الإعلام ،
كى تكونى على قدر أكبر من الثقافة يسمح لك بمتابعة أولادك
فى تحصيلهم الدراسى ، فيمكنك عن طريق القراءة واستيعاب
المواد الدراسية استيعابًا كاملاً ، أن تشرحى لهم دروسهم بشكل
مبسط وجذاب ، ييسر له دراستهم .

كما يمكنك عن طريق توفير الوقت أن تتوسعى فى قراءة
الموضوعات الدراسية فى عدة مراجع ، لتكونى مستعدة
للإجابة عن أى سؤال يمكن أن يطرحه عليك أبنائك ، فلا تهتز
صورتك فى أعينهم ، ولتكونى أنت الموسوعة التى نلقنه
المعلومة ، بطرق طريفة مسلية ، بعيدة عن الجمود
والغموض .

إذا كنت امرأة عاملة ، فهل تستطيعين أن تتعاملى مع
صغيرك أو أبنائك بمثل هذا الرفق وسعة الأفق ؟ لا أعتقد
ذلك ، فقد تتركينه لعمل الواجبات المدرسية دون متابعة ، أو
تتابعينه فى أثناء انشغالك ببعض الأمور المنزلية الأخرى ،
فلا ينال منك إلا أقل القليل من المحهود ، مما يؤثر على
مستوى الطفل الفكرى والنفسى .

هل فكرت يوماً وأنت امرأة عاملة أن تشاركه برامجه
التليفزيونية التى يحبها ؟ إنه فى أثناء حديث مقدمة هذه البرامج
نجد أنه يطرح ألف سؤال وسؤال ولا مجيب ، فهو يريد
الاستزادة من المعلومات المطروحة ، أو قد يجد صعوبة فى

فهمها ، أو حتى يريد أن يشعر بمن يشاركه اهتماماته ، حتى ولو كل حين ؟ ولكن هيهات ، فأنت تنتظرين هذه البرامج بفارغ الصبر ، حتى يلهو بها عندك ، ويترك لك الفراغ اللازم للقيام ببعض الأعمال الأخرى التى لا يسمح ضيق الوقت بإتمامها .

هل فكرت يوماً إن كنت امرأة عاملة أن تصحبنى أطفالك ، أو تضعى لهم نظاماً معيناً لممارسة الرياضة البدنية وتكونى قائدة لهم فى ذلك ؟ طبعاً لا ، فأنت منهكة القوى ، وذهابك للعمل ليس إلا رياضة بدنية لك ، أما هم فقد تتولاهم مدرسة ، لا هم لها من هذه الرياضة إلا الجانب النظرى فقط .

سيدتى : كونى نبغاً فياضاً للعطاء المتحدد ، كونى زهرة يرتشف من عبيرها زوجها وأطفالك . كونى نحلة ، عسلها يبعث الدفاء والنماء .

تلمسى أرض الواقع ، لامسى أطفالك ، عالجى مشاكل أبنائك ، أفيضى بحنانك عليهم وعلى زوجك ، ارحمى زوجك وأعنيه من مزاحمة المرأة له فى مجال رزقه وعمله . اقبعى فى منزلك ، وليكن الخروج بمصاحبة زوجك وأطفالك ، فننالى من الدولة حق الاهتمام بإنشاء المتنزهات لك ولأسرتك ، شاركى زوجك رياضته ، شجعى أطفالك على ممارسة الرياضة ، اخلقى منهم الأبطال فى جميع المجالات ، فلم تكن أمهاتنا تخرجن للعمل أو حداتنا ، وكان هناك الكثير

من التوابغ فى جميع المجالات ، هذه التوابغ التى لا نسمع عنها فى الحيل الحاضر ، أمثال توفيق الحكيم ، والشيخ محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ، والزعماء مصطفى كامل ، وسعد زغلول ، ومحمد فريد ، وأحمد عرابى ، وطه حسين ، وحافظ ابراهيم .

فما بالك أنت أيتها المتعلمة النابهة المثقفة ؟ كيف سيكون تأثيرك مع وجود الكثير من الفراغ ؟ سيوجه كل هذا الوقت لخلق المفكرين والمبدعين والتابعين ، فيقول « جون واطسون » وهو أحد علماء النفس البارزين ما معناه : « أعطني مائة طفل أعطك منهم العالم والطبيب والمحامى والشحاذ أيضا » .

واعتقد أن خلق العلماء والأبطال والتابعين سيكون مهمتك أنت ، فهى مهمة تتطلب تفرغاً وتضحية بتوجيها حسن النتائج ، ويكلها النجاح بإذن الله .

هل شاهدت سيدتى الدورة الأولمبية ببرشلونة ؟ إننى أتخذها مثالا ، لأن هذه المدينة ضمن المدن الأوروبية التى كان للعرب فضل فى تأسيس حضارتها - ماذا كان انطباعك ؟ طبعاً رأيت الفائزين والفائزات ، رأيت صنع المعجزات ، رأيت التفوق على الطبيعة نفسها ، تقبيل الأمهات لأبطالها صنع يديها ، وبطلات من صنع سيدات أيضا ، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، وتفرغ كامل ، كل لأداء مهمته .

